جامعة الملك فيصل
عمادة التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد

اسم المقرر
النظريات الاجتماعية

أستاذ المقرر:
د. فهد بن عبدالرحمن الخريّف

المحاضرة(٧)
النظرية البنائية الوظيفية
(روبرت ميرتون)

عناصر المحاضرة

- بداية النظرية البنائية الوظيفية لدى ميرتون .
- النظرية متوسطة المدى لدى ميرتون.
- البدائل الوظيفية.
- الوظائف الظاهرة والكامنة.
- المعوقات الوظيفية.
- نقد نظرية ميرتون
- نقد النظرية الوظيفية بشكل عام

النظرية البنائية الوظيفية (روبرت ميرتون)

على الرغم من الاختلافات بين تالكوت بارسونز وروبرت ميرتون في تفاصيل النظرية التي حاول كل منهما، وبالرغم من الانتقادات التي وجهها كل منهما للآخر ومن التعديلات التي اقترح ميرتون إدخالها على الوظيفية، إلا أن كليهما يبدا من نفس المسلمات النظرية الأيديولوجية التي بدأ بها كل أصحاب الاتجاه الوظيفي وأصحاب الاتجاه العضوي من قبلهم.
وأهم هذه المسلمات : أن البناء الاجتماعي في حالة ثبات وتوازن وأن هناك تكاملا بين عناصر هذا البناء، وأن هناك إجماعا عاما بين أعضاء المجتمع على قيم معينة وان هناك توازناً يجب ألا يصيبه الخلل في البناء الاجتماعي.

لقد بدأ ميرتون – الذي كان تلميذا لتالكوت بارسونز – بنقد بارسونز على أساس ان أعماله تمثل جهدا غير ناضج لمحاولة تكوين نظرية اجتماعية عامة، ولكنه لم يمس في كتاباته المسلمات الرئيسية التي ارتكزت عليها أعمال بارسونز أو غيره من الوظيفيين، وذلك بسبب أنه هو ذاته يسلم بها تماما، وبدلا من ذلك ركز جهده على نقد تفاصيل هذه الأعمال أو الفروض الجزئية التي تحتوي عليها.

ورأى ميرتون أن النظرية في علم الاجتماع يجب أن تكون (متوسطة المدى: Middle range) وعرّف النظرية متوسطة المدى بانها تلك " التي تقع بين طرفين: الطرف الأول يتمثل في مجموعة الافتراضات العلمية البسيطة التي نقابلها عند إجراء البحوث الميدانية. والطرف الثاني يتمثل في النظريات الشاملة الموحدة التي تسعى لتفسير كل ملاحظة عن انتظام في السلوك الاجتماعي والتنظيم الاجتماعي.

وبعبارة أخرى يقترح ميرتون مستوى من النظرية الاجتماعية الامبيريقية والتي تتضمن قدرا كبيرا من التجريد. ولكنه أقل من مستوى النظرية الكبرى . Grand Theoriesوالتي تتضمن قدرا كبيرا من التجريد، وبرر ميرتون دعوته لهذا المستوى المتوسط من التجريد بأنه يسمح بإخضاع ما يتضمنه من قضايا للاختبار الامبيريقي نظرا لقرب هذه القضايا من الوقائع الملموسة.

أمثلة للنظرية متوسطة المدى

وعلى ذلك فان النظرية متوسطة المدى تتناول أساسا جوانب معينة من الظواهر الاجتماعية، وليست الظواهر في عموميتها، فيمكن مثلا أن تكون لدينا **نظرية عن الجماعات المرجعية ونظرية عن الحراك الاجتماعي ونظرية عن صراع الأدوار ونظرية عن تكون القيم... الخ.**

وبعد أ تصبح لدينا هذه النظريات المتعددة ذات المدى المتوسط يمكننا في المستقبل أن نصوغ منها نظرية عامة موحدة، لكن الوقت لم يحن بعد لتكوين مثل هذه النظرية الموحدة.

وقد حدد ميرتون مجموعة من الوحدات التي يجب أن تمثل بؤرة لاهتمام التحليل في النظرية الاجتماعية متوسطة المدى مثل : الأدوار الاجتماعية، العمليات الاجتماعية، الأنماط الثقافية، الانفعالات المحددة ثقافيا، المعايير الاجتماعية، تنظيم الجماعة، البناء الاجتماعي، وأساليب الضبط الاجتماعي... الخ.

وبذلك جعل بؤرة اهتمام النظرية الاجتماعية ما اسماه:

بالعناصر الثقافية المقننة (Standardized Cultural items).

وقد استمد ميرتون مسلماته الأساسية عن الوظيفية من علماء الأنثروبولوجيا وبخاصة رادكليف براون ومالينوفسكي. وصاغ نظريته الوظيفية من أهم مؤلفاته (النظرية الاجتماعية والبناء الاجتماعي) الذي نشر عام ١٩٤٩م.

وقد استخدم ميرتون كلمة وظيفة بمعنى « الإجراءات البيولوجية الاجتماعية التي تساعد على الإبقاء على النسق وعلى تكيفه أو توافقه وهذه الإجراءات قابلة للملاحظة.

فمثلا: اذا نظرنا الى الجسم بوصفه نسقا بيولوجيا فان ضخ الدم يكون إجراء بيولوجيا يقوم به القلب للمحافظة على بقاء الجسم، وبذلك تكون وظيفة القلب. واذا نظرنا للمجتمع على أنه نسقا اجتماعيا فان المحافظة على النظام تكون إجراء اجتماعيا تساعد على بقاء المجتمع ويكون وظيفة الحكومة هكذا.

والوظيفة بهذا المعنى لها مؤشرات موضوعية قابلة للملاحظة، ولا يجب الخلط بينها وبين الأهداف والأغراض أوالدوافع . فهذا الزواج أو الدافع اليه مثلا يختلف عن وظيفة الزواج. والأسباب التي يقدمها الناس تفسيرا لسلوكهم تختلف عن نتائج

هذا السلوك بالنسبة للنسق الاجتماعي – تلك النتائج التي يمكن ملاحظتها.

وقد انتقد ميرتون غيره من أصحاب الاتجاه الوظيفي، وخاصة رادكليف براون على أساس ان الافتراضات التي ترتكز عليها نظريتهم شديدة العمومية وغير المحدودة، فهؤلاء العلماء قد افترضوا أن الأنشطة الاجتماعية المقننة أو العناصر الثقافية وظيفية بالنسبة للمجتمع بأسره وأن جميع هذه العناصر الثقافية والاجتماعية تؤدي وظائف اجتماعية وأن هذه العناصر لا يمكن للمجتمع الاستغناء عنها.

ورأى ميرتون ان هذه الافتراضات غير صحيحة ولذلك فانه أقام نظريته على ثلاث فروض أساسية بديلة هي :

١)العناصر الاجتماعية أو الثقافية قد تكون وظيفية بالنسبة لمجموعات معينة وغير وظيفية Non functionalبالنسبة لمجموعات غيرها، وضارة وظيفيا Dies-functionalبالنسبة لمجموعات أخرى وعلى ذلك فلابد من تعديل فكرة أن أي عنصر اجتماعي أو ثقافي يكون وظيفيا بالنسبة للمجتمع بأسرة.

٢) أن نفس العنصر قد يكون له وظائف متعددة ونفس الوظيفة يمكن تحقيقها بواسطة عناصر مختلفة(البدائل الوظيفية).فمثلا الملابس التي يمكن ان تؤدي عدة وظائف مختلفة، فهي تساعد على الوقاية من الطقس أو تكسب الفرد مكانة اجتماعية معينة أو يكون لها دور في تحديد جاذبية الشخصية. ومعنى ذلك ان هناك تنوعا في الوسائل التي يمكن ان تحقق هدفا وظيفيا معينا. وقد استخدم ميرتون لذلك مفهوم (البدائل الوظيفية).

٣) يجب ان يحدد التحليل الوظيفي الوحدات الاجتماعية التي تخدمها العناصر الاجتماعية أو الثقافية. ذلك أن بعض العناصر قد تكون ذات وظائف متعددة، وقد تكون بعض نتائجها ضارة وظيفيا.

ويرى " دون مارتنديل" أن ميرتون قد أضاف الى التحليل الوظيفي إضافتين رئيسيتين هما:

أولا: أنه قدّم مفاهيم مهمة كـ" **المعوقات الوظيفية، أو الأضرار الوظيفية** Dies-function والذي يعني النتائج القابلة للملاحظة والتي تقلل من تكيف النسق الاجتماعي أو توافقه، وأن كان إيميل دوركايم وراد كيف براون قد أشارا الى ذلك بصورة أو بأخرى في أعمالهما.

ثانيا: أنه ميّز بين نوعين من الوظيفة الاجتماعية: **الوظيفة الظاهرة Manifest function** . **والوظيفة الكامنة Latent function.** ويقصد ميرتون بالوظيفة الظاهرة: هي تلك النتائج الموضوعية التي يمكن ملاحظتها والتي تسهم في الحفاظ على النسق والتي يقصدها المشاركون في النشاط. أما الوظيفة الكامنة: فهي التي لم تكن مقصودة أو متوقعة.

مثال : دور الدّين في تحقيق التكامل الاجتماعي، هذا الدور مثلما قرر دوركايم لم يكن مقصودا، وعلى ذلك فان التكامل الاجتماعي يعتبر في هذه الحالة وظيفة كامنة للدين .

وأما اذا استخدم الدين عن قصد بواسطة الطبقة الحاكمة لتخدير الطبقات المحكومة وإخضاعها للنظام، مثلما قرر مارك، فان هذه النتائج تكون وظيفة ظاهرة للدين. وجدير بالذكر أن ميرتون لم يستحدث مفهومي الوظيفة الظاهرة والكامنة، ولكنه استعارها من (فرويد) الذي استخدمها في التمييز بين المحتوى الظاهر (الشعوري) والمحتوى الكامن(اللاشعوري) للحلم، مما يدل على تركيز ميرتون على الجوانب النفسية.

ويرى مارتنديل أن من أهم نماذج التحليل الوظيفي عند روبرت ميرتون تتمثل في دراسته عن البناء الاجتماعي واللامعيارية. ففهي هذه الدراسة طبق ميرتون نظريته الوظيفية في تحليل المصادر الاجتماعية والثقافية للسلوك المنحرف، وكان هدف ميرتون من هذه الدراسة أن يبين كيف يمارس البناء الاجتماعي ضغوطا محددة على أشخاص معينين

في المجتمع تجعلهم يمارسون سلوكيات غير امتثالية بدلا من ممارستهم لسلوك امتثالي.

وقد بدأ ميرتون دراسته(نظريته) بمسلمة هي التالية: (أن الأبنية الاجتماعية والثقافية تصوغ صفة المشروعية على أهداف معينة، وعلاوة على ذلك تحدد أساليب معينة مقبولة اجتماعيا لتحقيق تلك الأهداف). أي أن ميرتون ميز بين عنصرين رئيسيين فيما اسماه بالبناء الثقافي للمجتمع: الأهداف المحددة ثقافيا من جهة، والأساليب النظامية لتحقيق هذه الأهداف من جهة أخرى.

وفي المجتمع جيد التكامل نجد تكاملا وتناغما بين الأهداف والأساليب، فكل من الأهداف والأساليب تجد تقبلا من أفراد المجتمع ككل، كما أنها تكون ميسورة لهم جميعا. ويحدث اللاتكامل في المجتمع عندما يكون هناك تأكيد على أحد الجانبين بدرجة لا تتناسب مع التأكيد على الجانب الآخر، **وهذا ما يحدث في المجتمع الأمريكي**. فهناك في هذا المجتمع تأكيد على أهداف معينة، مثل النجاح الفردي وجمع الثروة وارتقاء السلم الاجتماعي دون تأكيد مماثل

على الأساليب (الوسائل) النظامية والمشروعة لتحقيق هذه الأهداف. فأساليب تحقيق هذه الأهداف غير متاحة للجميع في المجتمع.

وقد نشأ عن ذلك حالة من اللامعيارية(اللانظام) في المجتمع. وذلك أنه لابد من أن تكون هناك درجة من التناسب بين هدف تحقيق النجاح وبين الفرص المشروعة للنجاح بحيث يحصل الأفراد على الإشباع الضروري الذي يساعد على تحقيق النسق الاجتماعي لوظائفه، فاذا لم يتحقق ذلك فإن الوظيفة الاجتماعية تصاب بالخلل **ويحدث ما اسماه بالمعوقات الوظيفية.**

وقد قدّم ميرتون تصنيفا لأنماط استجابات الأفراد أو تكيفهم لذلك والتفاوت أو الانفصام بين الأهداف المرغوبة والمحددة ثقافيا(أي النجاح) وبين الأساليب المتاحة لتحقيق هذه الأهداف. وقد قرر أن هناك خمسة أنماط لتكيف الأفراد في المجتمع، أول هذه الأنماط وظيفي، أي يساعد على بقاء النسق الاجتماعي. والأربعة الآخرين ضارين وظيفيا(أو أنماط تكيف منحرفة) أي تهدد بقاء النسق. وهذه الأنماط الخمسة هي:

١) **نمط الامتثال**: ويحدث هذا النمط من التكيف حين يتقبل الأفراد الأهداف الثقافية ويمتثلون لها وفي نفس الوقت يتقبلون الأساليب التي يحددها النظام الاجتماعي بوصفها أساليب مشروعة لتحقيق هذه الأهداف. ومثال ذلك: تقبل الأفراد لهدف تحقيق النجاح والحصول على دخل مرتفع وتقبلهم لاستكمال تعليمهم كأسلوب لتحقيق ذلك الهدف فاذا كانت فرصة التعليم متاحة لكل أو اغلبيه أفراد المجتمع فان حالة من الثبات أو التكامل سوف تسود المجتمع لان غالبية الناس سوف تتقبل الأهداف وأساليب تحقيقها في نفس الوقت أما اذا كان بالمجتمع تأكيد على الأهداف فقط دون إتاحة الأساليب اللازمة لتحقيقها لكل الناس فان احد الأنماط الأربعة الآتية من التكيف الانحرافي يمكن ان تحدث.

٢) **نمط الابتداع**: ويرى ميرتون أن هذا النمط من التكيف هو اهم انماط التكيف الانحرافي في المجتمع الامريكي. ويعني به أن نسبة كبيرة من الناس في المجتمع تتقبل أهداف

النجاح التي تؤكد عليها الثقافة الأمريكية ولكنها تجد فرص تحقيق تلك الأهداف مغلقة أمامهم لان توزيع هذه الفرص غير متكافئ. وفي هذه الحالة يرفضون أساليب مشروعة لتحقيق هذا الهدف ويسود هذا النوع من التكيف لدى الطبقات العاملة.

٣)نمط الطقوسية: يتمثل هذا النمط من التكيف في التخلي عن الأهداف الثقافية للنجاح الفردي وتحقيق الثروة وصعود السلم الاجتماعي أو التقليل من مستوى طموح الفرد حتى يصل الى درجة منخفضة يمكن معها إشباع هذا الطموح، وفي نفس الوقت يظل الفرد ملتزما بطريقة شبه قهرية بالأساليب المشروعة لتحقيق الأهداف على الرغم من أنها لا تحقق له شيئا يذكر. ويسود هذا النوع من التكيف لدى الطبقة الوسطى الدنيا، مثل صغار الموظفين البيروقراطيين في الشركات والمصالح الحكومية. ويفسر ميرتون وجود هذا النمط من التكيف بانه يرجع الى أسلوب التنشئة الاجتماعية الصارم السائد في هذه الطبقة والى . الفرص المحددة للتقدم المتاحة لأعضاء هذه الطبقة.

٤) **الانسحابية**: وهو من أقل الأنماط شيوعا في المجتمع الأمريكي. والفرد الذي يلجأ إلى هذا النمط الانسحابي يعيش في المجتمع، ولكنه لا يكون جزءا منه، بمعنى انه لا يشارك في الاتفاق الجماعي على القيم المجتمعية. والانسحابي يتخلى عن كل الأهداف والأساليب التي يحددها النسق. ومن أمثلة هذا النمط من التكيف الانحرافي حالات الجنون والتشرد وإدمان المخدرات والخمور. ويرى ميرتون أن هذا النوع من الأفراد لا يقبل الأساليب الإبداعية(غير المشروعة) لتحقيق الأهداف وفي نفس الوقت لا تتاح له الفرصة لاستخدام الأساليب المشروعة لتحقيقها ولا يكون أمامه من مفر سوى ان ينسحب من المجتمع الى عالمه الخاص(الجنون أو السكر أو الأوهام). وهكذا يحل هذا الفرد الصراع النفسي عن طريق الهروب الكامل من المجتمع.

٥) **نمط التمرد** : يتسم هذا النمط من التكيف بإدانة (وليس مجرد رفض كما هو الحال في النمط السابق) كل الأهداف الثقافية للنجاح والالتزام بالأساليب النظامية لتحقيقها. أي اذا

كان النمط السابق يتسم برفض الأهداف والأساليب رفضا سلبيا والهروب من المجتمع فإن هذا النمط يتسم بالرفض الإيجابي والسعي الى استبدال البناء الاجتماعي القائم ببناء أخر يضم معايير ثقافية مختلفة للنجاح وفرصا أخرى لتحقيقه.

من العرض السابق لاهم إسهامات ميرتون يتضح أنه يرتكز على نفس المسلمات الأساسية التي يرتكز عليها غيره من الوظيفيين وإن كان يختلف عنهم في بعض الافتراضات الثانوية. فهو يسلم دون ما جدال بأن أساس البناء الاجتماعي هو القيم والمعايير السلوكية، سواء اتخذت في شكل أهداف محددة ثقافيا أو اتخذت شكل أساليب نظامية لتحقيق الأهداف.

كما أنه استبعد البعد التاريخي في تحليله الاجتماعي، ودعا أيضا الى التحليل الجزئي للظاهرات الاجتماعية باستخدام النظريات متوسطة المدى بدلا من التحليل الشمولي للمجتمع. كما أنه أغفل المتغيرات المادية في تفسيره لمنشأ التفاوت بين درجة التأكيد على أهداف النجاح في المجتمع الرأسمالي من جهة ودرجة التأكيد على أساليب تحقيق هذه الأهداف من جهة أخرى.

ويعلق(أيان تايلور وزملاؤه) على إغفال ميرتون الاهتمام بنمط التكيف الامتثالي بقولهم أن ذلك لا يدعو الى الدهشة. فبغض النظر عن حقيقة صعوبة تحديد أمثلة واقعية للأشخاص

الممتثلين في المجتمع الأمريكي، لأن أي شخص يمتثل لأهداف ذلك المجتمع لابد أن يكون بالضرورة أيضا إبداعيا لأنه سيفتش دائما عن أساليب جديدة لتحقيق النجاح، فإن البحث عن مصادر الامتثال كان سيوقع ميرتون في مشكلة عويصة وهي بحث مشروعية السلطة في المجتمع الأمريكي.

جدول يوضح أنماط التكيف الخمسة

نمط التكيف	الأهداف الثقافية	الأساليب
١ ـ الامتثال	+	+
٢ ـ الابتداع	+	+
٣ ـ الطقوسية	−	+
٤ ـ الانسحابية	−	−
٥ ـ التمرد	+	+
	+	+

كما أن ذلك كان من شأنه أيضا ان يضطره الى مواجهة حقيقة اجتماعية خطيرة تتمثل في أن عدد الأشخاص الممتثلين في المجتمع الأمريكي قليل جدا حتى بين أولئك الذين لا توصد أمامهم فرص تحقيق النجاح بحكم المراكز الاجتماعية التي يشغلونها ولكي يفسر ميرتون ذلك كان سيضطر إلى الخوض في مسائل أعمق من مجرد نقده السطحي لحالة المجتمع اللامعيارية في المجتمع الأمريكي ، أي أنه كان سيخوض في المسائل السياسية والاقتصادية التي يرغب أساسا (كوظيفي) في تجنبها.

إلا أن ميرتون كان الى حد ما ناقدا للمجتمع الأمريكي ويختلف عن بارسونز وغيره من الوظيفيين في أنه لم يتبنَّ بشكل مطلق فكرة وجود الاتفاق الجمعي في المجتمع

لقد أدرك ميرتون وجود تناقضات في النسق الاجتماعي الأمريكي، ولكن التناقضات التي أبرزها ليست ذات طابع مادي وهي جزء من طبيعة النسق حسب رأيه. فهناك عدم تكافؤ للفرص المتاحة للمجموعات المختلفة لتحقيق أهداف النجاح في المجتمع الأمريكي،

ولكن عدم التكافؤ هذا يرجع في رأيه الى العناصر الكامنة في الثقافة الأمريكية. وهكذا لا يقدم ميرتون أي تفسير بنائي لوجود عدم التكافؤ في الفرص في المجتمع أو لوجود مثل هذا المناخ الثقافي والأخلاقي. وهكذا يشبه ميرتون من يفسر الانحلال الخلقي للناس في فترة ما بتخليهم عن التمسك بالمبادئ الأخلاقية. أي انه يفسر ما هو ثقافي بما هو ثقافي. وليس ذلك بتفسير.

نقد ميرتون:

١)سلم ميرتون بالمجتمع القائم مع أنه يفترض أن ينظر الى التشكيلات البنائية الثقافية من خارجها. فهذه مهمة عالم الاجتماع.

٢)يرى إيان تايلور بأن ميرتون اقتصر على وصف الواقع الأمريكي ونقد بعض جوانبه الثقافية دون ان يمس جوهر العلاقات فيه. وبذلك يقف ميرتون عند حدود الدعوة الإصلاحية الجزئية للمجتمع. ولم يستمر لطرح البديل وتغيير جذري في المجتمع.

٣) أن المشكلة في المجتمع الأمريكي ليست ثقافية فقط بل، بل لان نظام تقسيم العمل لا يقوم على الكفاءة بل على المحسوبية. ويعني أن البناء الاجتماعي قائم على عدم المساواة (المُلكِية الوراثية) التي بسببها لا ينطلق أفراد المجتمع عند مولدهم من نفس نقطة الانطلاق.

٤) أن نظرية ميرتون قد تم تطبيقها في المجتمع الأمريكي لمساعدة أبناء الطبقات الفقيرة لتحقيق النجاح، لكن بعد عملهم في بعض المؤسسات فشلوا بسبب فقدانهم المهارات الأساسية للمهن التي عملوا بها، لذا فقد تم الاستغناء عنهم بعد توظيفهم. وتبدو هذه المحاولة – توظيف أبناء الطبقات الدنيا – مجرد تضليل حقيقي. فالفرص ترتبط ارتباطا وثيقا بكيفية توزيع الثروة بين مجموعات المجتمع.

نقد النظرية البنائية الوظيفية

١) بالنسبة لبارسونز وهو من أشهر ممثلي النظرية البنائية الوظيفية فكانت نظريته عبارة عن مجموعة من تلاعب بالمفاهيم والألفاظ المعقدة ليبدو عميقا في تحليله، رغم أن هذا التحليل يفتقد للموضوعية.

٢) كانت نظرية بارسونز عبارة عن تبرير أخلاقي لاستمرارية ذوي السلطة في المجتمع في التحكم فيه ويضفي على حكمهم صفة المشروعية.

٣) ان تأكيد بارسونز على فكرة التوازن عن طريق الخضوع للمعايير السائدة والمشتركة إنما هو تحذير من أي تمرد أو محاولة لتغيير الأوضاع القائمة.

٤) ينتقد عالم الاجتماع الروسي(بوبوف) النظرية الوظيفية على أساس أنها تصور المجتمع على انه نظام ابدي لا يعرف التطور والانتقال الى وضع جديد . فالنظرية الوظيفية ترفض التغير الاجتماعي

تمت بحمد الله